الجوانب الشرعية والأخلاقية
في الزيارة الأربعينية - دراسة تحليلية

م.د.علي عبد العظيم هادي الخاقاني
وزارة التربية – تربية النجف الأشرف
ali76abdalathem@gmail.com

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ ، آذار - ٢٠٢٦م

ملخص

أعد الله تعالى لزائر أئمة أهل البيت عليهم السلام عموماً رفعة ومقاماً كريماً في الدنيا والآخرة، وفي زيارة الامام الحسين عليه السلام خصوصاً الحصة الأكبر من المميزات، إذ ورد في مضامين أخبار كثيرة أن زيارته عليه السلام تُضفي على زائره نتائج وخصال وكرامات ما لها تعداد، وواحدة منها: أنها تعدل حجة وعمرة، وبطبيعة الحال أن للحاج وجاهة في الدنيا ومغفرة في الآخرة.

وفي هذا البحث تناولنا أمور:

الأول: قضية مهمة، وعليها يعتمد الزائر في كسب المميزات المُعدة له من الباري ﷻ، وهي: زيارته عليه السلام عن معرفة، وهذه المعرفة تتطلب الإحاطة بأهداف ونتائج ثورة الامام عليه السلام من خلال المعرفة بمنهجه عليه السلام الذي يهدف الى تصحيح مسار الأمة الإسلامية الذي انحرف، وتتبين ملامح هذا المنهج أكثر عند المقارنة بمنهج الحاكم القائم آنذاك -منهج يزيد بن معاوية.

الثاني: بيان صفة منهج الامام الحسين عليه السلام وهي الشمول والعموم لجميع الناس، دون التمييز على أساسا المذهب، أو الطائفة، أو حتى على أساس الدين.

الثالث: تطرق البحث الى أهم الجوانب الشرعية، والأخلاقية التي يتحلى بها، أو يكتسبها، زائر الامام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين، التي يتجدد بها أحزان عائلة الحسين وأهل بيته، بعد رجوعهم من السبي، إذ ترافق الزائر فيها كثير من المحطات التي تُمثل التزامات شرعية وأخلاقية، أَمرتْ بها الشريعة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: (زيارة الأربعين، منهج الامام الحسين، الآداب الشرعية، الاخلاق الكريمة).

The Legal and Ethical Aspects of the Arbaeen Pilgrimage

An Analytical Study

Asst.Dr. Ali Abdul Adheem Hadi Al-Khaqani
Ministry of Education – Najaf Education Directorate

Abstract

God Almighty has prepared for the visitor of the Imams of the Household of the Prophet (peace be upon them) - in general - a high status and a noble position in this world and the hereafter. The visit to Imam Hussein (peace be upon him), in particular, holds the greatest share of these benefits. Many hadiths indicate that visiting him (peace be upon him) bestows countless benefits, qualities, and honors upon the visitor, one of which is that it is equivalent to a Hajj and Umrah. Naturally, the pilgrim enjoys prestige in this world and forgiveness in the hereafter.

In this research, we addressed the following issues:

First: An important issue, upon which the visitor relies to gain the benefits prepared for him by God Almighty, namely: Visiting him (peace be upon him) with knowledge. This knowledge requires a comprehensive understanding of the goals and results of the Imam's (peace be upon him) revolution through an understanding of his (peace be upon him) methodology, which aimed to correct the deviant path of the Islamic nation. The features of this methodology become more apparent when compared to the methodology of the ruler in power at the time - the methodology of Yazid ibn Mu'awiyah.

Second: Explaining the nature of Imam Hussein's (peace be upon him) approach, which is inclusive and universal for all people, without discrimination based on sect, denomination, or even religion.

Third: The research addressed the most important legal and ethical aspects that the visitor to Imam Hussein (peace be upon him) possesses or acquires during the Arbaeen pilgrimage, which renews the sorrows of Hussein's family and household after their return from captivity. The visitor is accompanied by many stations that represent legal and ethical obligations mandated by Islamic law.

Keywords: (Arbaeen pilgrimage, Imam Hussein's approach, legal etiquette, noble morals).

المقدمة

إن الحديث عن ثورة الامام الحسين عليه السلام وثمرة هذه الثورة، هو حديث عن منهج النبي صلى الله عليه وآله في تبليغ رسالة السماء الى سكان الأرض جميعاً، وكما أنه صلى الله عليه وآله سلك طريقاً مملوء بالمعوقات والعراقيل، في سبيل إيصال رسالة السماء الى أكبر عدد ممكن من الناس، مع غض الطرف عما يصيبه من تلك المعوقات، كذلك الحسين عليه السلام سلك نفس الطريق، مع اختلاف العواقب بينهما، فالحسين عليه السلام أصابه شيء لم يُصب به النبي صلى الله عليه وآله من قتل وتعذيب، وتمثيل بجسده الشريف، وسبي عياله، وقتل أهل بيته... الى آخره من أنواع الأذية والآلام.

وثورة الإصلاح هي بمثابة بداية الدعوة، لأن الناس رُدوا كما كانوا في الجاهلية، أو أشد، على اعتبار تحريف الدين الإسلامي، وجعله لباس يُفصّل على مقاسات الملوك والحكام، وبالتالي حَمل الناس على هذا الدين الذي ما أنزل الله به من سلطان، فحللوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله.

فكان جزاءه من الله تعالى خلود ذكره في الدنيا، كما خَلّد ذكر النبي صلى الله عليه وآله فضلاً عن سيادته لشباب الجنة في الآخرة.

ومما خصه الله تعالى به على لسان النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام الزيارات المخصوصة المتعددة في كثير من المناسبات على طول السنة (العاملي، ١٤١٤هـ)، ومن هذه الزيارات المخصوصة هي زيارة الأربعين، وهي مناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاده عليه السلام وهذه الزيارة يتضح لكل من تمعن في أجوائها كثير من المعاني السامية، التي إن دُرست من قِبل مختصين لكانت مادة وافية لبحوث ودراسات تعكس مدى تأثيرها الروحي والمادي على كل من شارك فيها، سواء كانوا زوار أم كانوا ممن يقدموا خدمات مجانية للزوار.

وللتعريف أكثر بمضمون البحث ينبغي الاطلاع على النقاط الآتية:

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٢)

أولاً- مشكلة البحث:

تناول البحث قضية مهمة وهي التعريف بأهمية زيارة الامام الحسين عليه السلام عن معرفة، ولو بنسبة معينة، وتم ذلك عن طريق توضيح أحقية منهج الامام الحسين عليه السلام دون المناهج الأخرى، والقاضي بتصحيح المسار الاسلامي والإنساني، وبذلك ترتفع مشكلة الزيارة بدون معرفة، وهي مشكلة تجعل من الزيارة مجرد طقوس وروتين لا نفع منها سوى بعض الأجر والثواب.

ثانياً- أهمية البحث:

أكيد هناك إضافة معرفية جديدة في البحث، من خلال إبراز المعاني الاخلاقية والشرعية في الممارسات التي تصدر سواء من الزائرين أم من خادميهم، وهذه الممارسات والأفعال كثير منا لا يلتفت أنها ضمن الموازين الشرعية، لذلك استشهد البحث بالنصوص الشرعية من القران الكريم، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وأقوال بعض العلماء، على أن هذه الأعمال لها دلالات سامية ضمن حدود الشريعة الإسلامية.

ثالثاً- أهداف البحث:

كل ما يتناوله البحث يستهدف:

١. تهذيب أفعال الزائرين ومن يخدمهم، باستشعارهم بخطورة القضية التي يخدموها، وضرورة الالتزام بالضوابط الشرعية، ومحاسن الأخلاق والآداب العرفية للمجتمع المسلم، كون أفعالهم تعكس صورة وطابع لا بد أن تكون مثالية، لأننا حسينيون، ومنهج الحسين عليه السلام قمة في الالتزام الشرعي، والخلق الرفيع.
٢. تشجيع الناس على إدامة هذه الزيارة الاربعينية، والحفاظ على غاياتها وأهدافها، كونها تعد من علامات المؤمن.

رابعاً- منهج البحث:

احتاج البحث الى المنهج المقارن، الذي من خلاله تبين زيف وبطلان المناهج دون منهج الامام الحسين عليه السلام إذ عمل البحث مقارنة بين منهج الامام الحسين عليه السلام، وبين منهج يزيد بن معاوية، ليسلط الضوء على سياسة وإدارة القائد الأمثل، وأحقية القضية الحسينية، بما يضمن لها الخلود ما دامت الدنيا، وكذلك احتاج البحث الى المنهجين الاستقرائي والتحليلي، الذي من خلالهما توصل الى استقراء الممارسات والأفعال التي يمارسها الزوار، ثم تحليلها وارجاعها الى الأصول الشرعية.

خامساً- خطة البحث:

اقتضت الضرورة الى أن تكون هيكلة البحث مبحثان وأربعة مطالب، ثم خاتمة، فكان المبحث الأول بعنوان: المعرفة الصحيحة بمنهج وأهداف ثورة الامام الحسين عليه السلام.

وفيه مطلبان

الأول: منهج الامام الحسين عليه السلام في الحفاظ على تعاليم الإسلام الأصيلة.

والثاني: منهج الامام الحسين عليه السلام امتداد لمنهج النبوة.

وكان المبحث الثاني بعنوان: الآداب والأحكام المترتبة على زائر الامام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين، وفيه مطلبان، الأول: الأحكام الشرعية، والثاني: الآداب والممارسات الأخلاقية.

ثم صار البحث الى الخاتمة، إذ سردنا فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث.وهنا ينبغي الإشارة الى أن البحث محاولة مختصرة في بيان موضوعه، والأمل معقود على ذوي الهمم العالية في التوسع والزيادة.ومضمون البحث يتبين ضمن المباحث والمطالب الآتية:

المبحث الأول

المعرفة الصحيحة بمنهج وأهداف ثورة الامام الحسين عليه السلام

عند التوقف تأملاً في الثورة الحسينية، والمنهج الحسيني الذي أراد للمسلمين انتهاجه من خلال معطيات ثورته الخالدة، نجد أن أهداف تلك الثورة لم تكن محدودة بمكان جغرافي معين، أو فئة من الناس تنتمي الى مذهب معين، وإنما الحق بأن يقال: أن ثورة الامام الحسين عليه السلام كانت تستهدف العالم الإسلامي، وغير الإسلامي أجمع، ويمكن الاستدلال على عالمية ثورته عليه السلام ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول

منهج الامام الحسين عليه السلام في الحفاظ على تعاليم الإسلام الأصيلة

عند المقارنة بالمناهج القائمة في وقتها، والمراد لأحدها البقاء شرط إزالة المناهج الأخرى، سنراها منهجين قائمين متمثلين في:

أولاً- منهج يزيد بن معاوية، والذي يمثل امتداد لمنهج معاوية بن ابي سفيان، وبقايا وآثار سياسة الخليفة الثالث، وهذا المنهج واضح الملامح عند العامة والخاصة، وذلك بهجر التعاليم الإسلامية الحقة، التي تسعى لتنشئة الانسان نشأة دنيوية صحيحة، حاملة لتعاليم الدين الحنيف، ونشره في بقاع الأرض المختلفة، ثم تكون نتيجة ذلك عاقبة حسنة، وأجره جنة عرضها السموات والأرض.

أطلق هذا المنهج العنان لكل ما يحمل الضد من هذه التعاليم، فعمل على إباحة الفجور، والغناء، وشرب الخمر، والاعانة على الاثم، وطَبَّقَ ذلك عملياً رئيس الدولة بشخصه، فأثبت التاريخ أن يزيد بن معاوية شارب الخمر، ومرتكب الفسق

والفجور، وقاتل النفس المحترمة، الى غير ذلك من الأفعال التي يرفضها الدين (المجلسي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، صفحة ٤٤/ ٣٣٨).

ومن الشواهد على فسق يزيد هو: (عندما استبدل يزيد الوليد بن عتبة، بعثمان بن محمد بن أبي سفيان، وأراد عثمان أن يدلّل على كفاءته في إدارة المدينة، ويكسب رضا وجوهها عن يزيد وعنه، فأرسل وفدا من أبناء المهاجرين والأنصار إلى دمشق، ليشاهدوا الخليفة الشابّ عن كثب وينالوا نصيبهم من هداياه، إلّا أن الوفد رأى في سلوك يزيد ما يشين ويقبح، ولما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وعيبه، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب - وهم اللصوص - وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه، وقال عبد اللهّ بن حنظلة: لو لم أجد إلّا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت عطاءه إلّا لأتقوّى به، فخَلَعَهُ الناس، وبايعوا عبد اللهّ بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم) (الطبري، ١٨٧٩م، صفحة ٥/ ٤٠٨).

ومن الشواهد أيضاً على اعوجاج منهج يزيد بن معاوية، ما قاله الامام الحسين عليه السلام، عندما طُلِبَ منه مبايعة يزيد على الحكم والخلافة، قال: (إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمور، وقاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله) (المجلسي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، صفحة ٤٤/ ٣٢٥).

(ولتوضيح هذه الكلمة الشريفة نقول: إنه لا ريب في أن قاتل النفس المحترمة لا يمكن أن يكون هو الأمين على دماء الناس، فهل يؤمن على أعراضهم وأموالهم؟ ثم على مصيرهم ومستقبلهم، ويصبح هو الحاكم المتصرف في ذلك كله! وهو لا يملك

(بسبب معاقرته للخمر) في أوقات كثيرة، حتى التوازن العقلي، الذي يحمي قراره من الضعف والرعونة، ومن أن يكون قراراً مدمراً للأمة، أو ملحقاً بها وبمستقبلها أضراراً فادحة على أقل تقدير، هذا فضلاً عن أن شارب الخمور، لا يمكن أن يحفظ الأسرار الخطيرة التي منها ما يلامس مستقبل الأمة وحياتها، حيث لا يجد الذي يتعاطى المسكرات أي وازع ورادع، من عقل أو دين عن البوح بها لغير أهلها.

وقد قال: « قاتل، وشارب» الدال على أن ذلك من سجيته، ولم يقل: قتل وشرب، لأن ذلك ربما يفسح المجال لادعاء التوبة والصلاح في فترات لاحقة، كما أنه قد صرح باحترام النفس المقتولة، كي لا يفسح المجال أيضاً لادعاء أنه انما قتلها بحق، ثم إنه إذا كان معلناً بالفسق أيضاً، ولا يخجل بفسقه وفجوره، فإنه لا يعتبر المنكر منكراً، ليتصدى لدفعه وإزالته من الواقع العام، كما أن من يكون كذلك لا يتوقع منه أن يربي الأمة على مكارم الأخلاق، ويغرس فيها خصال الخير والصلاح ويقودها إلى مواقع العزة والكرامة والسؤدد.

ويلاحظ هنا أيضاً: أنه عليه السلام قد اقتصر على هذه الأمور، شرب الخمور، وقتل النفوس، والإعلان بالفسق، ولم يتحدث عن أنه يكذب، أو يغتاب، أو يسرق، أو يرتكب جريمة الزنى وغير ذلك من موبقات، ولعل ذلك لأن هذه الأمور التي ذكرها هي الأكثر حساسية، فيما يرتبط بالموقع الذي يسعى إليه، ويجعل نفسه فيه، وهو الأكثر ارتباطاً بالقضايا المصيرية للأمة، وذلك ظاهر، لا يحتاج إلى مزيد بيان) (العاملي ج.، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، صفحة ١/ ٦٦).

ثانياً- منهج الحسين بن علي عليه السلام الذي يمثل امتداد طبيعي ومباشر لمنهج علي بن ابي طالب عليه السلام الذي لا خلاف فيه أنه منهج النبي صلى الله عليه وآله قلباً وقالباً.

وصاحب هذا المنهج لم يدّعي الشخصية في القيادة، ولم يكن من طلاب الدنيا، والدليل أنه أخبر بنتيجة حراكه الثوري، وأن الاستشهاد نهايته، فلو نظرنا الى أهداف وغايات هذه الثورة، لبان لنا جلياً أن ما أراده الحسين عليه السلام هو للبشرية جمعاء، وليس لفئة معينة، وذلك بوصاياه وأقواله التي تدعوا الى رفض الظلم والخروج على الظالم مهما كانت قوته المادية والعسكرية، ومهما كانت النتيجة.

فمنهج الإمام الحسين عليه السلام منهج عقائدي، ومنهج يحمل رسالة، والحسين عليه السلام على استعداد للتضحية والبذل والفداء من أجل إعلاء كلمة (لا اله الله) وفك الخناق الذي فرضه الأمويون على الإسلام، وأن يغذي شجرة الإسلام التي كادت أن تنضب وتجف، وجدير بالذكر أنه التزم بمواقف أخيه الحسن مدة إمامته، لأن الحسن ممن تجب عليه طاعته والانقياد له، لما هو من الثابت أن الإمام إنما يتصرف حسب المصالح اللازمة، وطبقا للموازين الشرعية.

روى احمد بن حنبل: (حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرّة قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فدعينا إلى طعام فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق فأسرع النبي صلى الله عليه وآله أمام القوم ثم بسط يديه فجعل حسين يمرّ مرة هاهنا ومرة هاهنا فيضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ثم اعتنقه فقبّله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا منه أحبّ الله من أحبّه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط». (الطبراني، ١٤١٢هـ، صفحة ٥١).

المطلب الثاني

منهج الامام الحسين عليه السلام امتداد لمنهج النبوة

لم يكن مراد الامام الحسين عليه السلام تغيير واقع أتباعه فحسب، وإنما غايته تعديل المسار الإسلامي ككل، الذي بدأ ينحرف عن غايته التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله فقد دخل في الدين ما ليس منه جرّاء الانحراف في المنهج الصحيح للدين الإسلامي.

فنستطيع اثبات خطأ المقولة التي تقول: إن الحسين إمام الشيعة، وخرج لنصرة الشيعة فقط، أما باقي الطوائف والأديان فليست من أهداف ثورة الحسين عليه السلام وذلك بالأدلة الآتية:

أولاً- ان الحسين عليه السلام كان خروجه بثورته المعروفة بتاريخ قريب من تاريخ البعثة النبوية، والمنهج النبوي عام لجميع المسلمين، ولم يفرق بين أحد على أحد إلا بالتقوى، بدليل أنه صلى الله عليه وآله يتعامل مع كل من حوله معاملة واحدة باستثناء شيئين:

١. عدم التعامل مع المنافقين، بل فضحهم في مناسبات عدة، وفضح منهجهم، وصرّح بأسمائهم، وهدم مساجدهم، وغير ذلك من الإجراءات النبوية بعد أن حذر القرآن الكريم منهم:

قال تعالى:«وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ» (التوبة، ٦٨).

وقال تعالى:﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ(١)اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ(٣)۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ(٤)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا

يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ(٥)سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(٦)هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ(٧)يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ(٨)﴾(المنافقون،١-٨).

٢. التصريح بين حين وآخر بأحقية منهج علي بن ابي طالب عليه السلام من بعده، وأنه ومن اتبعه هم أهل الفوز والفلاح.

قال رسول اللهّ صلى الله عليه وآله: «يا عليّ أنت المظلوم من بعدي، فويل لَمَنْ ظلمك واعتدى عليك، وطوبى لمن تبعك ولم يختر عليك، يا عليّ أنت المقاتل بعدي، فويل لَمَنْ قاتلك وطوبى لَمَنْ قاتل معك، يا عليّ أنت الّذي تنطق بكلامي وتتكلّم بلساني بعدي، فويل لمن ردّ عليك وطوبى لَمَنْ قبل كلامك، يا عليّ أنت سيِّد هذه الامّة بعدي وأنت إمامها وخليفتي عليها، مَنْ فارقك فارقني يوم القيامة، ومَنْ كان معك كان معي يوم القيامة...» (المجلسي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، صفحة ٣٩/ ٣٥).

ثانياً-خروج الحسين عليه السلام في وقت لم تكن قد ظهرت فيه المذاهب الإسلامية الأخرى، والتي تفرقت وابتعدت عن المنهج الأصل والاساس، نتيجة أهواء ورغبات بعض الشخصيات الإسلامية التي لها باع طويل في الفقه والحديث.

ثالثاً-خرج الحسين عليه السلام ومعه أُناس من غير دينه أصلاً، فضلاً عن مذهبه، وخروج غير المسلمين لم يكن لأجل سلطة أو سلطان، بل لوضوح أهداف ثورة الحسين عليه السلام مما جعل للآخرين مسوغاً عقلياً لإتباعه، والمشاركة في ثورته ضد الحكومة القائمة آنذاك الواضحة للعيان سلبياتها.

رابعاً-الخطب والاقوال التي تكلم بها الامام الحسين ﷺ ناصحاً بها للقوم في الجانب الآخر، شاهد آخر على عالمية المنهج الحسيني، فلو أخذنا أمثلة ونماذج منها يتأكد لنا ذلك، والتي منها:

١. قال ﷺ جواباً للوليد بن عتبة: (أيّها الأمير إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله...) (الأمين، ١٤١٣ه-١٩٨٣م، صفحة ١/ ٥٨١).

وهذه المقولة تؤكد أن الحسين ﷺ أراد أن يرسم لأحرار البشرية أن المواصفات التي أتحلى بها من: الحرية، والايمان، والعدالة، وطهارة المولد، والشجاعة...، لو كانت عند أي أحد غيري -مثلي- فلا يحق له أن يبايع مثل يزيد بالصفات أو يجعله على رأس السلطة، وإدارة البلد، بغض النظر عن ديانة أهل البلد، و(مثلي لا يبايع مثله) واضحة على هذا المعنى.

٢. قال ﷺ: (وَيْحَكُمْ، يا شيعَةَ آلِ أَبي سُفْيانَ! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دينٌ، وَكُنْتُمْ لا تَخافُونَ الْمَعادَ، فَكُونُوا أَحْراراً في دُنْياكُمْ هذِهِ، وَارْجِعُوا إِلى أَحْسابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عُرُباً كَما تَزْعُمُون...) (طاووس، ١٣٦٩هـ، صفحة ٧١).

والشيعة في اللغة هم الأتباع، وأبو سفيان لم يكن موجود في واقعة كربلاء، ولكن نهجه حاضر، يتمثل بأخلاق أتباعه، وأصحاب ابنه يزيد.

والحسين ﷺ بهذا التقريع يُبطل هذا المنهج، ويذمه، وينال من أتباعه، ويُعطي الشرعية لمنهجه الحق، والعالمي.

٣. قال ﷺ: (أَيُّهَا النّاسُ! اسْمَعُوا قَوْلي، وَلا تَعْجَلُوني حَتّى أَعِظَكُمْ بِما لِحَقٍّ لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتّى أَعْتَذِرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمي عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عُذْري وَصَدَّقْتُمْ قَوْلي، وَأَعْطَيْتُمُوني النَّصْفَ كُنْتُمْ بِذلِكَ أَسْعَدَ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا

مِنِّي الْعُذْرَ، وَلَمْ تُعْطُوا النَّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (يونس، ٧١)، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف، ١٩٦)...) (لجنة الحديث في معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م).

هنا خطاب الامام عليه السلام يوضح منزلته بين الناس، ومكانته التي وضعه الباري بها، وأنه ليس قائد مجموعة من الناس، كما في قيادات غيره، وإنما هو عليه السلام إمام لجميع الناس، وعلى الناس السمع والطاعة، وعصيانه يؤدي الى نتيجة لا تحمد عقباها في الدنيا والآخرة، وما استشهاده بهذه الآيات الكريمات إلا لتوضيح هذا المعنى.

خامساً- هدف الامام عليه السلام هو الاصلاح في جميع الامة دون فئة معينة، وينبغي الإشارة الى الجانب السياسي الذي انتهجه الامام الحسين عليه السلام في ثورته الإصلاحية، إذ يدل على عالمية الثورة الحسينية، وكما يمكن لنا الاستدلال على عالمية ثورة الحسين عليه السلام الإصلاحية مما نتج عنها، واقتداء المصلحين بها، وأخذ العبر مما قدمه عليه السلام وكيف انتصر هذا المنهج، بالوقت الذي خسر المعركة عسكرياً، مع غض الطرف عن دين الامام الحسين عليه السلام فهو لا يمثل قيادة المسلمين فحسب، وفي هذا الصدد نورد عدة نقاط تشرح لنا انتصار هذا المنهج، بالصبغة العالمية، فنقول:

١. إن حكومة الدولة الإسلامية تضم أقاليم واسعة شملت دولاً كثيرة من شرق الأرض وغربها، وهذه الحكومة ينطوي تحت لوائها مختلف الأديان والملل، ومختلف القوميات، وأنواع اللغات، فخروج الحسين عليه السلام على هذه الحكومة القائمة آنذاك، لم يكن خروج محدود ضمن دولة أو اقليم معين، أو لصالح قومية محددة، لكن بما أن الدولة واسعة الأطراف، فلا بد ان اصلاح هذه الدولة، وعلى رأسها الحكومة وإدارة البلد، سيكون اصلاح عالمي غير محدود.

٢. قال الامام الحسين ﷺ: «إني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا ظالما، ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...» (المجلسي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، صفحة ٤٤/ ٣٣٠)، من أجل هذه المبادئ العليا خلدت قصة الحسين واستوعبت جميع لغات الأرض، وأخذ الناس يقيمون لها الذكرى مقتبسين منها الايمان بالله ، ومقتبسين منها العبر والعظات التي تنفعهم في جميع ميادين حياتهم، إنها من دون شك ستظل تساير الركب الانساني وهي ترفع شعار العدل، وشعار الحق، وشعار الكرامة، وتضيء الطريق، وتوضح القصد أمام كل مصلح يعمل من أجل صالح الانسان، وليس في تاريخ الاسلام من هو أكثر عائدة ولطفا وفضلا على الاسلام من الإمام الحسين ﷺ فهو المنقذ والمجدد لهذا الدين العظيم، الذي أجهزت عليه السياسة الأموية ، وتركته جريحا على مفترق الطرق تتحداه عوامل الانحلال والانهيار من الداخل والخارج، ولم يعد أي مفهوم من مفاهيمه الحية مائلا في واقع الحياة العامة للمسلمين، قد جمدت طاقاته، وأخمد نوره وانتهكت سننه، ولم يبق منه سوى شبح خافت، وظل متهافت... (القرشي، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، صفحة ١/ ١٢).

سادساً- شمولية السياسة الحسينية: إذ اتخذ الحسين ﷺ سياسة شاملة واضحة المعالم، تشمل جميع مناحي الحياة، وذلك من خلال:

١. لم يغفل الامام الحسين ﷺ جوانب مهمة في سياسته الشمولية، حتى لو ابتلى بالتعامل مع الحكومة القائمة الظالمة بطريقة معينة من السياسة.

فطريق المعارضة الذي سلكه الامام ضد مسار الحكومة القائمة لم يركز على الجانب الديني، كون الحاكم فاسق، شارب الخمر، بل عارض سياسته الاقتصادية والاجتماعية أيضاً، فرفض الامام الحسين ﷺ أن يكون الحاكم يزيد، أو من يشبه يزيد

بن معاوية في سياساته، أن يعتلي منصة الحكم، ويتصرف كيفما يشاء، حتى اذا صار هذا الامر فان البلاد تسير الى الهاوية.

وهذا ما حصل بالفعل، فظلت سياسات بني أمية المبنية على أساس خطأ أسسه معاوية بن ابي سفيان تؤدي الى نتائج عكسية، الى أن انهارت دولتهم، واستولى عليها بنو العباس.

وهذه نظرة سياسية عالمية، فمن أراد النجاح والدوام في حكومة تخدم مصالح العباد والبلاد فعليه أن ينتهج نهج الحسين عليه السلام العالمي.

٢. خطاب الحسين عليه السلام الداعي الى الإصلاح قد وصل وامتد الى أماكن وبلدان كثيرة كانت لها أرضية صالحة ولو لفترة من الزمن، أن يقام عليها المشروع الإصلاحي الحسيني العالمي، فأرسل الرسل والرسائل التي يحث فيها لدعم مشروعه الإصلاحي، ولم يكن يركز على بلد معين دون بلد، إلا اذا كان ذلك البلد مؤهل بمؤهلات أكثر من غيره، كما في الكوفة.

بالنتيجة أن شمولية ثورة الامام الحسين عليه السلام جعلت لزيارته مسوغاً لجميع فئات المجتمع، وفي مختلف البلدان، ومختلف الأديان، فمن الملاحظ أن زواره عليه السلام لم تُصنف على جهة أو بلد أو دين، فمنهم المسيحي والصابئي، ومنهم الشيعي والسني، ومنهم من البلدان العربية والبلدان الإسلامية، والبلدان الأوربية ودول أمريكا وروسيا، ودول آسيا عموماً وأروبا.

فعامل الجذب الذي يجذب هؤلاء الناس لنيل شرف زيارته عليه السلام هو عامل إنسانية الحسين عليه السلام الذي يمثل روح الإسلام الحقيقي، وهذا ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من ربّ العزة، وهو نفسه يأتي آخر الزمان على يد صاحب العصر والزمان عليه السلام حتى يقال أنه عليه السلام أتى بدين جديد، لم يألفه الناس من قبل.

المبحث الثاني

الآداب والأحكام المترتبة على زائر الامام الحسين ﷺ في يوم الأربعين

زيارة الأربعين المخصوصة لسيد الشهداء ﷺ بذكرى مرور أربعين يوماً على استشهاده، تشتمل على جوانب وآداب شرعية، وأخلاقية جمة، نستعرض منها ما يأتي:

المطلب الأول / الأحكام الشرعية

لو رصد أحدنا مسيرة الزائرين القاصدين قبر الامام الحسين ﷺ لأمكنه إجراء إحصائية من دون تكلف، ومن دون عناء لكثير من الآداب الشرعية، ومن هذه الآداب نذكر ما يأتي:

أولاً- المحافظة على أوقات الصلاة: قال تعالى:«حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلوُسطَىٰ وَقُومُواْ للَّهِ قَٰنِتِينَ».(البقرة، ٢٣٨)، وهذا العمل يشتمل على كل ما له صلة بالصلاة، من النظافة، والوضوء، وتحري المكان المناسب للصلاة، فضلاً عن أفعال الصلاة نفسها.

والزائر عندما يلتزم بالصلاة - وربما يحثه على ذلك السلوك الجمعي، وهو أمر جيد- فهو يمتثل لأدب كثير ما يحث عليه أهل البيت ﷺ وفي مناسبات عدة، ومن أقوالهم ﷺ بهذا الخصوص:

١. عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: (عليكم بالمحافظة على أوقات الصلاة فليس منى من ضيّع الصلاة، وعنه ﷺ أيضاً أنه قال: سبع من سوابق الايمان فتمسكوا بهن: شهادة أن لا إله إلا الله (إلى أن قال) والمحافظة على الصلوات) (البروجردي، ١٣٩٩هـ، صفحة ٤/ ٥٣).

٢. عن محمد بن أبي عمير قال: (قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام أخبرني عن تختم أمير المؤمنين عليه السلام بيمينه لأي شيء كان؟ فقال: إنما كان يتختم بيمينه لأنه إمام أصحاب اليمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد مدح الله تعالى أصحاب اليمين وذمّ أصحاب الشمال، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتختم بيمينه وهو علامة لشيعتنا يعرفون بها وبالمحافظة على أوقات الصلاة وإيتاء الزكاة، ومواساة الاخوان، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) (الصدوق، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، صفحة ١/ ١٥٨).

٣. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ساعات الليل اثنتا عشرة ساعة وساعات النهار اثنتا عشرة ساعة وأفضل ساعات الليل والنهار أوقات الصلاة، ثم قال عليه السلام: إنه إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء، وهبت الرياح. ونظر الله عز وجل إلى خلقه وإني لأحب أن يصعد لي عند ذلك إلى السماء عمل صالح، ثم قال: عليكم بالدعاء في أدبار الصلاة فإنه مستجاب (الصدوق، الخصال، د.ت، صفحة ٤٨٨).

٤. الحسين ابن أبي العلاء، عن الصادق جعفر ابن محمد عليهما السلام، قال: (سمعته يقول: أحب العباد إلى الله عز وجل رجل صدوق في حديثه، محافظ على صلاته، وما فرض الله عليه مع أداء الأمانة...) (البروجردي، ١٣٩٩هـ، صفحة ٤/ ٥٣).

ثانياً- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا الفعل تجده واضحاً جلياً بين الزائرين، فبعضهم يُذّكر البعض الآخر بما يجب عليه فعله، وينهاه عما لا ينبغي فعله.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي بالوجوب الكفائي، وهو من التكاليف الاجتماعية التي إن أُدِّيَتْ كما ينبغي سوف ينعم المجتمع بحياة مستقيمة بعيدة عن المعاصي، والمشاكل الاجتماعية، واما لو كان العكس سوف يعاني المجتمع من ويلات ثم ويلات.

قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف، ١٦٤-١٦٥)

وقال تعالى:﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (عمران، ١٠٤).

كما للنبي وآل البيت عليهم السلام أحاديث كثيرة في حث المسلمين، والمؤمنين على فضل ودور هذه الفريضة على الفرد والمجتمع، منها:

١. قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر» (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٥/ ٥٩).

٢. عن أبي حمزة عن يحيى بن عقيل عن حسن قال: (خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد اللهَّ وأثنى عليه. وقال: أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك وإنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلا ولن يقطعا رزقاً) (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٥/ ٥٩).

٣. عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:«... إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في اللهَّ لومة لائم...» (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٥/ ٥٥).

ثالثاً–التآخي في الله: تجد عند الزائرين تفعيل مبدأ انساني طالما وصّى به القرآن الكريم، والسنة النبوية، ألا وهو مبدأ الأخوة، فالقاصدين قبر الحسين عليه السلام مؤمنون، وتعاملهم مع بعضهم على أساس المؤمنون أخوة، قال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَّ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الحجرات،١٠)لاشتراكهم في الدين، فالمؤمنون الذين يجتمعون لعبادة رب واحد، وقاصدين زيارة إمام واحد، لا ينبغي لهم أن ينسوا أنهم إخوة.

فإن قلتَ: يصح هذا الكلام عند أهل الدين الواحد، ولا يشمل الزائرين الذين هم على غير دين الإسلام؟

قلتُ: لا إشكال أن منهج الحسين عليه السلام منهج إنساني، فضلاً عن أنه إسلامي، والمنهج الإنساني لا يفرق بين الديانات الأخرى في عملية إحقاق الحق، ونشر العدل، ونبذ الظلم، فالحاكم الإسلامي لا يقتصر حكمه على أهل دينه، هذا أولاً، وثانياً أن الجامع مشترك بين جميع الناس، وهو أحد شيئين كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لواليه على مصر مالك الاشتر: (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ صَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ) (الرضي، ١٣٣٢هـ–٢٠١١م، صفحة ٥١٦).

رابعاً– إعانة الضعيف: وهذا الأدب يوجبه الشرع على من يحسن أن يقدم المساعدة لمن هو أضعف منه، كما في الأحاديث الآتي:

١. قال ﷺ: (عونك الضعيف من أفضل الصدقة) (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٥/ ٥٥).

٢. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (قال رسول الله ﷺ: من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار وجبت له الجنة) (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٢/ ١٦٤).

٣. عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: (قال رسول اللهّ ﷺ من سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم) (الكاشاني، ١٤٠١هـ، صفحة ١٥/ ١٩٦).

خامساً- عدم تعمد الاحتكاك بالنساء: رغم أن الطريق السالك الى القبر الشريف هو طريق مشترك، ومزدحم أيضاً، ولشدة ان التحرز من التقارب مع النساء يتطلب جهداً إضافياً لما يكابده الزائر من مشقة وتعب، لا ترى أحداً منهم يتعمد ذلك، سوى مواقف المساعدة والإرشاد، والنصح في الله عز وجل.

سادسا- الالتزام بالنظام العام، وهو أمر شرعي ينبغي الالتزام به، سواء في موسم الزيارة أم في غيره، وهذا الأمر تجده حاضراً عند زائري الامام الحسين عليه السلام، فيوصي أحدهم الآخر بإقامته وعدم التجاوز عليه.

سابعا- الحفاظ على مقومات الجماعة، من خلال الانخراط فيما يؤدي الى وحدة الجماعة، والتنازل عن الحقوق الشخصية في بعض الأوقات للحفاظ على الجماعة، وهذا الأمر حاضراً عند زائري الامام الحسين عليه السلام، فتجدهم يتخلون عن بعض المقتنيات الشخصية كالأعلام والرايات والصور حفاظاً على روح الجماعة.

وغير ذلك من الآداب الشرعية الواضحة في طريق القاصدين لقبر الحسين عليه السلام نعرض عنها خشية الاطالة، كون المقام مقام مختصر يُسلط الضوء على بعض منها.

المطلب الثاني
الآداب والممارسات الأخلاقية

تشتمل الزيارة على عدة آداب وأخلاق يتحلى بها الزائرين، فضلاً عمن يُقدم لهم الخدمة من الأفراد، والهيئات، والمواكب، وأصحاب الحسينيات، ومن تلك المعان:

أولاً- إطعام الطعام: وهذه صفة أخلاقية حميدة، أكد عليها الدين الإسلامي، وأقر من كان عليها في الجاهلية، ومن الشواهد على ذلك ما يأتي:

١. عن أبي الحسن عليه السلام قال: (من موجبات مغفرة اللهَّ إطعام الطعام) (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٤/ ٥٢).

٢. عن موسى بن بكر عن أبي الحسن عليه السلام قال: (كان رسول اللهَّ صلى الله عليه وآله يقول: من موجبات مغفرة الرب إطعام الطعام) (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٤/ ٥٠).

٣. عبد اللهَّ بن القاسم الجعفري عن أبي عبد اللهَّ عليه السلام قال: (قال رسول اللهَّ صلى الله عليه وآله: خيركم من أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام) (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٤/ ٥٠).

ثانياً- التواضع: فمن الملاحظ جداً، وبصورة جلية أن سمة التواضع هي الأبرز عند أهل الخدمة، فضلاً عن الزائرين، فشريف القوم تجده يخدم من هو أقل منه منزلة، وكبير القوم يخدم من هو أصغر منه عمراً، ورئيس القوم يخدم من هو دونه مرتبة.

وهذا التواضع محبب في الدين الإسلامي، ومن الشواهد على ذلك ما يأتي:

١. عن هشام بن الحكم قال: (قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يا هشام ... أن لكل شيء دليلا ودليل العقل التفكر ودليل التفكر الصمت ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع وكفي بك جهلا أن تركب ما نهيت عنه...) (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ١/ ١٣).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

٢. عن أبي عبد اللهَّ عليه السلام قال: (أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه ... فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم اللهَّ تعالى وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم اللهَّ وإن العفو يزيد صاحبه عزا فاعفوا يعزكم اللهَّ) (الكليني، ١٣٨٨هـ، صفحة ٢/ ١٢١).

٣. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم، وإلقاء التعزز تحت أقدامكم، وخلع التكبر من أعناقكم. واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده، فإن له من كل أمة جنودا وأعوانا، ورجلا وفرسانا. ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة) (الرضي، ١٣٣٢هـ-٢٠١١م، صفحة ٣٣٧).

ثالثاً- حسن الصحبة: طريق زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام طويل، ويلزم من ذلك اختيار الصاحب في الطريق، وحتى يكون السفر ذو منفعة خُلقية ومعنوية لا بد من اختيار الصاحب الجيد، ذو الاخلاق الحسنة الذي بأخلاقه يهون تعب ومشقة الطريق، ففي الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، جاءت الأبيات التالية (الكاشاني، ١٤٠١هـ، صفحة ١/ ١٩):

تغرب عن الأوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل في الأسفار ذل ومحنة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد

فموت الفتى خير له من معاشه ... بدار هوان بين واش وحاسد

رابعاً-مراعاة جملة من الأخلاق التي حث عليها أهل البيت عليهم السلام زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والواردة في كتب الزيارات، منها (القمي، ٢٠٠٦م، الصفحات ٦٠٩-٦١٢):

١. ان يصوم ثلاث أيام متوالية قبل الخروج من بيته، ويغتسل في اليوم الثالث.

٢. زر الحسين وأنت حزين مكروب شعث مغبر جائع عطشان، فإنّ الحسين عليه السلام قتل حزيناً مكروباً شعثاً مغبراً جائعاً عطشاناً واسأله الحوائج وانصرف عنه ولا تتخذه وطناً.

٣. ألا يتخذ الزاد في سفر زيارته عليه السلام مما لذَّ وطاب من الغذاء كاللحم المشوي والحلاوة، بل يغتذي بالخبز واللّبن.

٤. مما ندب إليه في سفر زيارة الحسين عليه السلام هو التواضع والتذلّل والتخاشع والمشي مشي العبد الذليل.

٥. أن يجتهد ما وسعه الاجتهاد في إعانة الزائر الراجل إذا شاهده وقد تعب وأعياه المسير فيهتم بشأنه ويبلغه منزلاً يستريح فيه، وحذار من الاستخفاف به وعدم الاهتمام لشأنه.

٦. عن الثقة الجليل محمد بن مسلم عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: قلت له: إذا خرجنا إلى أبيك أفلسنا في حجّ؟ قال: بلى. قلت: فيلزمنا ما يلزم الحاج؟ قال: يلزمك حسن الصحبة لمن يصحبك ويلزمك قلّة الكلام إلاّ بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحي، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة والصلاة على محمد وآل محمد ويلزمك التحفظ عمّا لا ينبغي لك، ويلزمك أن تغضي بصرك (من المحرّمات والمشتبهات) ويلزمك أن تعود على أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً، والمواساة (أن تناصفه نفقتك) ويلزمك التقيّة التي قوام دينك بها، والورع عمّا نهيت عنه وترك الخصومة وكثرة الأيمان والجدال الّذي فيه الأيمان، فإذا فعلت ذلك تمّ حجُّك وعمرتك واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك واغترابك عن أهلك ورغبتك فيما رغبت أن تنصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان.

٧. في حديث أبي حمزة الثمالي عن الصادق صلوات الله عليه في زيارة الحسين عليه السلام أنه قال: إذا بلغت نينوى فحطّ رحلك هناك ولا تدّهن ولا تكتحل ولا تأكل اللحم ما أقمت فيه.

٨. أن يغتسل بماء الفرات. فالروايات في فضله كثيرة.

الخاتمة

من خلال ما مرّ بنا من الحديث عن منهج الامام الحسين عليه السلام، وزيارته المخصوصة بعد مرور أربعين يوماً على شهادته عليه السلام، والتي تسمى بـ: الزيارة الاربعينية، يمكن أن نجمل نتائج البحث بما يأتي:

١. الوقوف على أهداف ثورة الامام الحسين عليه السلام، واستذكار المنهج الحسيني الذي أراد تحقيق هدف سامي وهو الحفاظ على تعاليم الدين الإسلامي الأصيل، بعد أن بدأ الانحراف نتيجة سياسات حكام الدولة آنذاك.

٢. إجراء مقارنة بين منهج الامام الحسين عليه السلام ومنهج يزيد بن معاوية، ليتعرف الزائر على حجم التضحيات التي قدمها الامام الحسين عليه السلام لتحقيق أهداف المنهج الحسيني.

٣. القاء نظرة عامة على جملة من الآداب الشرعية، التي يمارسها زائر الامام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين، والأفعال العبادية التي أمر بها المشرع الإسلامي.

٤. الإشارة الى بعض الجوانب الأخلاقية، والصفات الحميدة التي يتحلى بها زائري، وخدام زائري الامام الحسين عليه السلام، مما يدل على أن الحسين عليه السلام وثورته مصدر للعطاء الدائم، الذي شمل كل البشرية دون استثناء.

٥. وضح البحث أن زوار الامام الحسين عليه السلام القاصدين قبره الشريف في هذه المناسبة، يتلمسون حسياً معانٍ روحية، تفرض عليهم سلوكاً لم يكونوا ألفوه من قبل، لذا يترجم الى أفعال جميلة وحسنة، كالتسامح، والتواضع، والسكينة، والالتزام بالنظام العام، والحفاظ على مقومات الجماعة، وغير ذلك.

المصادر

خير ما نبتدأ به القرآن الكريم

١. ابو جعفر محمد بن جرير الطبري. (١٨٧٩م). تاريخ الأمم والملوك (المجلد ٢). بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢. ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق. (١٣٨٥هـ-١٩٦٦م). علل الشرائع. النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية.

٣. ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق. (د.ت). الخصال (المجلد ١). (علي أكبر غفاري، المترجمون) قم المشرفة: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

٤. ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني. (١٣٨٨هـ). الكافي (المجلد ٣). (علي أكبر غفاري، المترجمون) طهران: دار الكتب الاسلامية.

٥. جعفر مرتضى العاملي. (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م). مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة (المجلد ١). المركز الاسلامي للدراسات.

٦. الشريف الرضي. (١٣٣٢هـ-٢٠١١م). نهج البلاغة (المجلد ١). النجف الأشرف: العتبة العلوية المقدسة.

٧. باقر شريف القرشي. (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م). حياة الامام الحسين عليه السلام (المجلد ١). النجف الأشرف: مبرات محمد جواد عجينة.

٨. حسين الطباطبائي البروجردي. (١٣٩٩هـ). جامع أحاديث الشيعة. قم المشرفة: المطبعة العلمية.

٩. رضي الدين علي بن موسى بن طاووس. (١٣٦٩هـ). الملهوف على قتلى الطفوف. مطبعة النجف.

١٠. سلمان بن احمد الطبراني. (١٤١٢هـ). أخبار الامام الحسن بن علي عليه السلام. الكويت، الكويت: دار الأدوار.

١١. عباس القمي. (٢٠٠٦م). مفاتيح الجنان (المجلد ٣). قم المشرفة: مكتبة العزيزي.

١٢. لجنة الحديث في معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام. (١٤١٦هـ-١٩٩٥م). موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام (المجلد ٣). معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام.

١٣. محسن الأمين. (١٤١٣ه-١٩٨٣م). أعيان الشيعة. (حسن الأمين، المترجمون) بيروت، لبنان: دار التعارف.

١٤. محمد باقر المجلسي. (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار (المجلد ٢). بيروت، لبنان: مؤسسة الوفاء.

١٥. محمد بن الحسن الحر العاملي. (١٤١٤هـ). وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة (المجلد ٢). قم، ايران: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

١٦. محمد محسن الفيض الكاشاني. (١٤٠١هـ). مفاتيح الشرائع. قم المشرفة: مجمع الذخائر الاسلامية.

Sources:

The best place to begin is the Holy Qur'an

1. Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir al-Tabari (1879 CE). History of Nations and Kings (Vol. 2). Beirut, Lebanon: Al-A'lami Foundation for Publications.
2. Abu Ja'far Muhammad ibn Ali ibn Babawayh al-Saduq (1385 AH - 1966 CE). Reasons for the Laws. Najaf al-Ashraf: Al-Haydariyah Library.
3. Abu Ja'far Muhammad ibn Ali ibn Babawayh al-Saduq (n.d.). Al-Khisal (Vol. 1). (Ali Akbar Ghaffari, translators). Qom: Jama'at al-Mudarrisin fi al-Hawza al-Ilmiyya.
4. Abu Ja'far Muhammad ibn Ya'qub ibn Ishaq al-Kulayni (1388 AH). Al-Kafi (Vol. 3). (Ali Akbar Ghaffari, translators). Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyya.
5. Ja'far Murtaza al-'Amili (1423 AH - 2002 CE). A Useful Summary of Questions and Answers in Religion and Faith (Volume 1). Islamic Center for Studies.
6. Al-Sharif Al-Radi (1332 AH - 2011 AD). Nahjul Balagha (Volume 1). Najaf Al-Ashraf: The Holy Shrine of Imam Ali (AS).
7. Baqir Sharif Al-Qurashi (1394 AH - 1974 AD). The Life of Imam Hussein (AS) (Volume 1). Najaf Al-Ashraf: Mubarrat Muhammad Jawad Ajina.

8. Husayn Tabatabai Al-Borujerdi (1399 AH). Collection of Shia Hadiths. Qom: Al-Ilmiyya Press.

9. Radi Al-Din Ali ibn Musa ibn Tawus (1369 AH). The Desperate for the Martyrs of Karbala. Najaf Press.

10. Salman ibn Ahmad Al-Tabarani (1412 AH). News of Imam Al-Hasan ibn Ali (AS). Kuwait, Kuwait: Dar Al-Adwar.

11. Abbas Al-Qummi. (2006). Mafatih al-Jinan (Volume 3). Qom, Al-Musharrafah: Al-Azizi Library.

12. Hadith Committee at the Baqir al-Ulum Research Institute (1416 AH - 1995 AD). Encyclopedia of the Words of Imam Husayn (peace be upon him) (Volume 3). Baqir al-Ulum Research Institute (peace be upon him).

13. Mohsen al-Amin (1413 AH - 1983 AD). Shia Notables (Hassan al-Amin, translators). Beirut, Lebanon: Dar al-Ta'aruf.

14. Muhammad Baqir al-Majlisi (1403 AH - 1983 AD). Bihar al-Anwar al-Jami'ah li-Durar Akhbar al-A'immah al-Athar (Volume 2). Beirut, Lebanon: Al-Wafa Foundation.

15. Muhammad ibn al-Hasan al-Hurr al-'Amili (1414 AH). Wasa'il al-Shi'a ila Tahsil Masa'il al-Shari'ah (Volume 2). Qom, Iran: Ahl al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage.

16. Muhammad Mohsen al-Fayd al-Kashani. (1401 AH). Keys to the Laws. Qom: Islamic Treasures Complex.